Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقول ابن خلدون «فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل ، وبعدت عن مناحى اللسان وملكته ، وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث فى شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه ، وتلك القوانين إنما هى وسائل للتعليم ، لكنهم أجروها على غير ما قصد بها ، وأصاروها علما بحتا ، وبعدوا بذلك عن ثمرتها» .

هذا طابع النحو فى مصادره القديمة ، وهو طابع قوامه «المعايير والأقيسة» والقواعد تتوالى فى كل باب بكل ما يدور حولها من جزئيات واستطرادات وأمثلة صناعية قصاراها أن تنطبق على تلك القواعد التى تساق من أجلها .

والحق أن هذه الطريقة لاتصلح للتعليم ، فهى تحقق العلم بالصناعة النحوية وقوانينها ، لكنها لاتحقق الهدف من تعلم النحو وهو «تقويم اللسان» فهى – كما يقول ابن خلدون – بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ، ولا يحكمها عملا . كما لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب ، فيقول : هو أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه ، وآخر قبالتك ممسك بطرفه الآخر وتتعاقبانه بينكما ، وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائية ، إلى أن ينتهى إلى آخر الخشبة .

وهو لو طولب بهذا العمل أو شىء منه ، لم يحكمه .

هل يبعد تعليم النحو للطلاب فى جامعاتنا عن تلك الصورة «لعالم النجارة» الذى يعرفها ولا يحسنها ، لا أظن !! فالأمر فى جامعاتنا يقوم أيضا على المشقة المضنية فى معرفة القوانين والأقيسة وقضاء الساعات الطوال فى قوانين المبتدأ والخبر ، والمبتدأ المستغنى عن الخبر ، والمصدر النائب عن فعله والمصدر الذى يحل محل «أن والفعل وشروطه» وإعراب الأمثلة والأبيات بطريق الصنعة المعروفة ، وتلك محنة يعانى منها الطلاب والطالبات فى قاعات الدرس عناء أقل ما يوصف به أنه تعاسة وشقاء ، وبحسب الاستاذ الجَهْبَذ أنه حقق لطلابه بهذه القوانين رتبة فى لسان العرب ، وهو وهُمْ أبعد الناس عن ذلك !! .

اننى – بكل أسف – أقرر أن ما ذكرته يطابق واقعيا ما يحدث فى جامعاتنا فالطلاب بعد حصر القواعد وحفظ الأمثلة لايقيمون جملة ولا تستقيم لهم عبارة ، بل إن